تونس تكرّم الفنان الذي أصبح متحفا

كل شيء في حياة علي عيسى يغري بإعادة الرواية

لم يكن من قبيل الصدفة أن يطلق العرب لقب عبقري على كل مبدع، رابطين بين فعل الإبداع ووادي عبقر الذي قيل إن الجن اتخذوه مسكنا. فالجن وحدهم قادرون على الإتيان بما يعجز عن إتيانه البشر، ولطالما أضفت الحياة الشخصية للفنان مسحة من الغموض والسحر على أعماله، هذا الغموض الذي نجح الفنان في توظيفه لتسويق أعماله، ما من مبدع إلاّ وتقف خلفه حكاية، تحتاج لراو يرويها، وهذا ما فعله المخرج التونسي مروان الطرابلسي، فراح يروي لنا على مدى أكثر من ساعة، قصة علي عيسى، الفنان الذي تحوّل إلى متحف.

فنان مثل علي عيسى لا يمكن أن يكون مروره عابرا

علي قاسم
كاتب سوري مقيم في تونس

ما كان لتدشين رواق "المقام" في المتحف الوطني للفن الحديث والمعاصر بمدينة الثقافة بتونس، يوم العاشر من يناير الحالي، أن يحظى بالاهتمام لولا ارتباط المناسبة بحدث آخر هو تكريم الفنان التونسي علي عيسى، الذي رحل مؤخرا، 19 ديسمبر 2019، عن عمر 83 عاما.

و"المقام" هو رواق جديد للفن التشكيلي يضاف إلى أروقة المتحف الوطني للفن الحديث والمعاصر، ويمثل فسحة للفنانين التشكيليين يعرضون فيها أعمالهم بصفة دورية، وفرصة للتواصل مع الجمهور.

> خمس سنوات من الجهد سخرها المخرج مروان الطرابلسي ليقدم لنا الفنان علي عيسى كما هو دون رتوش أو محسنات إضافية

قد لا يكون اختيار إدارة المتحف تدشين هذا الرواق بمعرض تونسي بعنوان "عليسة في المقام"، صدفة، بل أريد لهذا المعرض أن يكون تذكيرا بقيمة الفنان علي عيسى "الرجل الذي أصبح متحفا".

عليسة، وتعرف أيضا باسم أليسا أو أليسار، هي ابنة ملك صور، ومؤسسة قرطاج وملكتها الأولى. اشتهرت بعد ذكرها في الإنيادة التي كتبها فرجيل، وعرفت بدهائها وحسن تدبيرها اللذين أتاحا لها تأسيس وحكم مملكة في شمال أفريقية، عرفت بتجارتها الواسعة وسيطرتها على بحار المتوسط. كما أن تصاهرها مع سكان شمال أفريقية أوجد الشعب البونيقي الذي استوطن سواحل المتوسط.

بين عليسة وعيسى

كما كرّست عليسة، ابنة ملك صور الفينيقية، حياتها للسياسة وبناء قرطاج، كرّس علي عيسى حياته للفن، ووهب تونس مجموعة أعمال تجاوز عددها 3000 عمل، وأوصى بأن يدفن في مشغله، الذي اعتاد أن يستضيف فيه أربعة معارض عالمية، في كل فصل من فصول العام، معرضا للخريف، وآخر للشتاء، وواحدا لكل من فصل الربيع، وفصل الصيف.

هاجرت عليسة من سواحل لبنان، مع آخرين أوفياء لها، هربا من أخيها الذي حاول قتلها، حاملة معها كنوز مملكة صور واستوطنت سواحل تونس، حيث أنشأت مدينة قرطاج "قَرْتْ حَدَشْتْ"، أي القرية الحديثة أو المدينة الجديدة في اللغة الفينيقية.

وإذا كانت عليسة غادرت موطنها مضطرة، فإن علي عيسى غادره إلى باريس مصطحبا معه عربة "تكتك"، ملونة ومغطاة بأعمال فنية من إنجازه، ليصنع هناك حدثا فنيا، كتبت عنه وسائل الإعلام الفرنسية، فقرّر تركه لمتحف باريسي، إلاّ أن وزارة الثقافة التونسية، حسب فيلم وثائقي أعد عنه، أثنته عن ذلك ووعدته باقتنائه وجعله ملكا للدولة التونسية.

ولسبب أو آخر لم يوف بالوعد. واليوم يقبع التكتك، الذي سجلت حكايته كاميرا المخرج مروان الطرابلسي، صاحب الفيلم الوثائقي المذكور، في غرفة معتمة للمتحف الوطني للفنون التشكيلية بباردو، مهملا يتهدّده الصدأ. وكان الفنان قد اعتاد، في فترة الثمانينات وبداية التسعينات من القرن الماضي، أن يسوق أعماله متنقلا في "التكتك" بشوارع مدينة تونس وحواريها.

توج عيسى خلال مسيرته الفنية عدة مرات، وحصل على جوائز محلية وعالمية، في فرنسا وإيطاليا وكندا، من بينها الميدالية الذهبية للمهرجان الدولي للرسم بتونس، عام 1992، وقبلها نال ميدالية فخرية منحتها له أكاديمية باريس الشرقية للفنون البصرية والتشكيلية، عام 1986.

شخصية سينمائية

فنان مثل علي عيسى لا يمكن أن يكون مروره عابرا، حيث يصعب التفريق في حياته بين الشخصي والفني، لقد تماهى البعد الشخصي في البعد الفني بشكل كامل، وكان لا بد من أن تلحظه عين سينمائي مبدع، فجاذبيته لا تقل عن جاذبية روائي عظيم مثل آرنست همنغواي.

كل شيء في حياته يغري بإعادة الرواية، وهذا ما فعله المخرج مروان الطرابلسي، الذي راح ينفض الغبار عنه، من خلال عدسة كاميراته، مقدّما لنا فيلما وثائقيا، على مدى أكثر من ساعة، حمل عنوانا ذكيا هو "الرجل الذي صار متحفا"، ولو كان من الأفضل أن يحمل عنوان "الرجل الذي أصبح عملا فنيا".

في الفيلم يطلع المخرج المشاهدين على وصية مكتوبة بيد الفنان، يهب فيها متحفه الخاص وجميع أعماله الفنية إلى الدولة التونسية.

ما ميز علي عيسى عن باقي الفنانين هو إصراره على أن يعيش في الهامش، رغم دراسته في مدرسة الفنون الجميلة بتونس، وتأسيسه، مع مجموعة من زملائه، "اتحاد الفنانين التشكيليين التونسيين"، وهو في ذلك لم يكن باحثا عن الغرابة، أو لفت الانتباه، بل كان الدافع عشق الفن.. ذلك العشق الذي، كما كان الفنان يرى، لا يقبل شريكا له.

خمس سنوات من الجهد، بذلها المخرج مروان ليقدّم لنا الفنان علي عيسى كما هو دون رتوش أو محسنات إضافية، وكما حكاها لنا الفنان على لسانه، من محرابه وسط الحي التونسي باردو. وقد يكون توصيف الفنان التونسي، سامي بن عامر، أفضل ما يمكن أن يقال في مشغل عيسى، إنه "تنصيبة كبرى".

ألا يذكرنا هذا بتنصيبة الفنانة البريطانية المثيرة للجدل، تريسي أمين، التي عرضت غرفة نومها في قاعة "تيت غاليري" بلندن، وحقّق العمل الذي أطلقت عليه اسم "سريري" رقما قياسيا، بعد أن بيع في عام 2014 مقابل أكثر من أربعة ملايين دولار في مزاد علني. يعكس هذا العمل الواقعية بشكل واضح ويعد من صيحات الفن الحديث.

محراب علي عيسى "المسكون بالفوضى" والمليء بآلات قديمة وثقت تنقلاته بين باريس ولبنان ولندن، والجدران المغطاة بملصقات فنية، إلى جانب أدوات الرسم، وأعداد كبيرة من اللوحات، كلها تستحق العرض في قاعة متحف كبير، إنها أكبر إنجاز فني، لرسام تونسي عاش مجهولا، ولكن حتما لن يبق بعد اليوم طي النسيان.

الفن المعاصر: تخمة فنية بلا رؤية ثقافية

شرف الدين ماجدولين
كاتب مغربي

من المداخل الرئيسة لصياغة التحقق، داخل الفن المعاصر، قدرة الفنان على الإقناع المعنوي، وتقديم خطاب بصري ولفظي متجانس. إذ لا يمكن أن نتحدث عن عمق في غياب القدرة على بيان حدوده، واستيضاح تجلياته، وإخراجه إلى السطح. وهي المهمة التي ليست موكولة إلى الآخرين، نقادا كانوا أو قيمي معارض، أو صحافيين، حتى لو تعلق الأمر بفنانين فطريين.

غياب القدرة عن التبيين هو مرادف لافتقاد العمق نفسه؛ إذ لا يمكن أن ننجز لوحات ومنحوتات وتجهيزات مفعمة دلالة بالصدفة، ولا يمكن تشكيل خطاب بصري مقنع وشديد الرمزية دونما إدراك لخطورة المنجز، أو بغير قصد، فمعاناة الفنان المعاصر مع الأداة والشكل والإطار هي في الجوهر معاناة مع اللغة أيضا، التي لا تشكل معنى أصيلا وفريدا وحقيقيا عبر اللعب بالكلمات.

لا جرم إذن، أن يكون الانطلاق من قاعدة اللون والمادة والكتلة والمساحة في صيغ "معاصرة"، غير منفصل عن جوهر الوعي بالأزمة "المفترضة" للوسيلة، وهو وعي لا يمكن أن يكون بغير جوهر ثقافي، يتمثل محدودية الصيغ السائدة والمتراسلة من نقطة كونها تحد من طاقة التعبير الحر، ومن ثم يتطلع إلى تخطيها، وتجاوز ما يرتبط بها من رهانات. ذلك على الأقل ما يجب استيعابه في واقع عربي لم ينجز حداثته الثقافية بشكل متوازن بين الأجناس التعبيرية المختلفة، من الشعر إلى الرواية إلى السينما إلى المسرح والتشكيل.. حيث برزت على الدوام تفاوتات موحية، بأعطاب راسخة في منظومة الثقافة جامعة.

وفي مقطع شديد الدلالة أورده محمد بنيس ضمن مقال صدر قبل أزيد من أربعة عقود حمل عنوان "من قضايا تجربتنا التشكيلية"، يقول ما يلي "أغلبية فناننا التشكيليين، باستثناء مجموعة محدودة تعد على رؤوس الأصابع، تهمل الجانب الثقافي من حسابها الذاتي. وقد نشعر بإحراج عندما نريد فتح نقاش مع بعض الفنانين المغاربة، ونكتشف خواءهم الثقافي. وهذه الخاصية تلعب دورا.. في خلق مأسوية فنوننا التشكيلية، إن بعض الفنانين الشباب يحملون القماش والفرشاة والألوان دون أن يتساءلوا عن نوعية الكتاب الذي سيقودهم في جحيمهم". ورد هذا المقال ضمن العدد السابع (الصادر في ربيع 1977) من مجلة "الثقافة الجديدة"، الذي شكل مع العدد 6 – 7 من مجلة "أنفاس"، أولى الأدبيات النقدية والنظرية عن واقع الحركة التشكيلية في المغرب، والحال أن هذا العدد ذاته يضم مقالات كل من الفنانين: محمد شبعة ومحمد المليحي وفريد بلكاهية ومحمد القاسمي، جنبا إلى جنب مع كتابات نقدية لعبدالكبير الخطيبي وأدمون عمران المالح وطوني ماريناي وآخرين.. عن التجربة التشكيلية المغربية وأعطابها ومطامحها الفنية والجمالية.

وربما كانت مقالات هذه المجموعة، تمثل تلك القلة التي استثناها محمد بنيس، في مقاله الواصف لحالة صادمة، ما لبثت أن تفاقمت، بالموازاة مع (ويا للمفارقة) اتساع قاعدة الممارسة الفنية بالمغرب، بحيث برز للوجود تدريجيا فنانون بغير أهلية معرفية، ولا رصيد ثقافي، وبملامح "خواء" متفاوت، قد ينحصر في مظهر أول في الاتكال على المهارة والمعرفة التقنية، وقد يمتد إلى الاكتفاء بتفاصيل سطحية من تاريخ الفن، لتبرير الاختيار والسعي إلى تفسير العمل البصري. والحال أن تعقيد المنجز يتعارض مع التبسيط المعرفي وما يستند إليه من تحليل، فيبدو أشبه ما يكون بارتجال فني يخلو من أي رؤية.

ويمكن ربط "الإعاقة النظرية" في هذا السياق بالمشهد الثقافي، وما تخلله في مرحلة ما بعد السبعينات من القرن الماضي من تفتت طاغ، أفضى إلى انعزالية مرضية لمبدعي الأجناس التعبيرية المختلفة بعضهم عن بعض، بحيث بات نادرا أن تجمع قضايا جمالية موحدة، وأسئلة ذات جوهر فكري، مبدعين من شتى الاختيارات التعبيرية اللفظية والبصرية، (في التصوير والنحت والرواية والمسرح والسينما والشعر...) إلا ضمن هوامش بالغة الضمور.

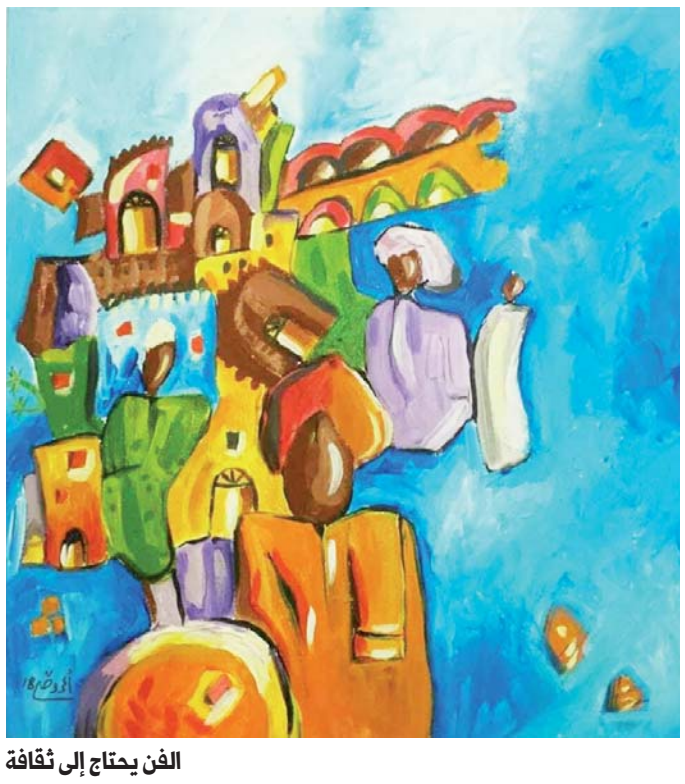

الفن يحتاج إلى ثقافة

> الحداثة الثقافية العربية لا توازن بين الأجناس التعبيرية المختلفة، من الشعر إلى الرواية إلى السينما والمسرح والتشكيل

من هنا ينبغي إنعام النظر في طبيعة تطور الوعي الفني، وانخراطه في الأسئلة العامة التي شغلت الثقافة، من إعادة إنتاج النموذج المدرسي الغربي، إلى الوعي بالتراث والحداثة والآخر والأسلوب... وهي كلها مفاهيم تسكن جوهر الممارسة الثقافية في شتى تجلياتها. إنها المعرفة التي تورط الباحث في واقع الفن المعاصر بالمغرب ضمن مآزق غياب الخطاب الجمالي الموازي لتخمة الإقامات الفنية والمعارض، وموجات البيع، والتزكية لأعمال وتجارب تشكيلية سرعان ما تنطفئ، وتنمحي من الذاكرة؛ ليس لأنها لم تكن جذابة وأصيلة حقا، وإنما لأنها انطوت، في العمق، على هشاشة فكرية قاتلة.

«المنصة» دراما عربية بمواصفات عالمية

أبوظبي – كشفت الشركة الإماراتية المنتجة "فيلم جيت" بالتعاون مع شركة "الكلمة" للإنتاج عن الملامح الأولى للمسلسل الدرامي التشويقي "المنصة"، وأكدت انتهاء عملية التصوير كاملا والوصول إلى المراحل الأخيرة من العمليات الفنية للموسم الأول الذي يضم 12 حلقة، تم تصويرها بالكامل في أبوظبي العاصمة الإماراتية، وفق ظروف إنتاجية عالية المستوى.

وتتم الاستعدادات حاليا لاستكمال كتابة وتصوير الموسم الثاني والثالث منه، والذي قام بتأليفه وكتابته هوزان عكو ويتولى إخراجه مجدي السميري ومنصور البيهوني الظاهري والألماني رودريغو كيشنر، حيث قامت الشركة ببناء وتجهيز أستوديوات تصوير خاصة بمقاييس عالمية تبشر بعمل ضخم يحمل الكثير من المفاجآت والجرأة في الحوار والإخراج.

ومسلسل "المنصة" دراما اجتماعية تشويقية تدور أحداثها في مناطق متعددة من الشرق الأوسط، في إطار حرب المعلومات والميديا التي تؤثر على حياة البشر اليومية، بشكل جريء ومختلف لم يقدم سابقا، بمشاركة نجوم من الوطن العربي والخليج وأميركا منهم: مكسيم خليل، عبدالمحسن النمر، سلوم حداد، سمر سامي، سامر إسماعيل، لين غرة، ياري قاسم، شادي الصفدي، وبمشاركة الممثل الأميركي دان كين المعروف بلعبه دور "سوبرمان".

ومن الإمارات يشارك أحمد الجسمي وياسر النيادي وسعود الكعبي ويوسف الكعبي والإعلامية مهيرة عبدالعزيز.